القدس ومكانتها في الإسلام
من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المطهرة

الدكتور خالد محمد القضاة
الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية -ليبيا

الحمد لله الذي شرف الأمة بحمل لواء الجهاد، وجعله ذروة سنام الإسلام، وأمر به نبيه ﷺ، والصلاة والسلام على قائد المجاهدين إمام المتقين وعلى آله وصحبه الغر المحجلين ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

وبعد ،

فلقد فضل الله تعالى بعض البقاع على بعض، وخص الأقصى بالإسراء والمحشر والمنشر، الشام شريفة ولا قيمة للقدس إذا اغتيل مسجدها، ولا معنى لفلسطين بدون القدس، ولا وجود للشام بغير فلسطين، فالقدس هي المدينة الوحيدة التي لا تحتاج إلى تعريف ؟ فهي معروفة مألوفة، وهي معقل التوحيد، وقلعة الإيمان، ووطن العرب والمسلمين، وهي المدينة المقاتلة الصابرة المحتسبة، القدس كانت وما زالت تمثل الوقود اللازم لاقتلاع الأمة وابتعاث همتها واشتعال عزيمتها والتهاب عزمها، فإن عزت القدس عزت الأمة، وإذا بكت القدس بكت الأمة. ولقد ألف عن القدس وفلسطين المؤلفات والأبحاث الكثيرة وما ذلك إلا لأهمية القدس ومكانتها لدى المسلمين على مر العصور والدهور.

وإني لسعيد جداً بتقديم هذا البحث عن القدس الشريفة مهوى أفئدة المسلمين، لأنها موطن الأنبياء والمرسلين وتخليد الإسلام بإسراء رسول الله محمد ﷺ ومواجهة أفئدة المسلمين الأولى.

وقد حاولت في هذا البحث أن أجمع الآيات القرآنية ذات الصلة بهذا الموضوع وأن أعرضها لتجلية صورة القدس وفلسطين من خلال القرآن

الكريم؛ واستدعى ذلك أن أقدم تصوراً حول النظرية الإسلامية لكتابة تاريخ القدس وفلسطين ثم أعرض بشكل سريع إلى أبرز الأحداث في تاريخ فلسطين في الإسلام وقد احتوى هذا البحث على الموضوعات التالية:

- القدس قبل الإسلام حيث ذكرت أهم القبائل التي سكنت فلسطين منذ العصور القديمة. ثم بينت بعضا من مظاهر تزييف وتحريف التاريخ عند اليهود وبعد ذلك تحدثت عن مكانة القدس من خلال الآيات القرآنية وبينت من خلال هذه الآيات أن القدس وفلسطين وما حولها هي الأرض المباركة والأرض المقدسة ورجعت في ذلك إلى كتب التفسير والتي كادت أن تجمع جميعها على أن المقصود بهذه الأرض المباركة هي القدس وما حولها.

- ثم تحدثت عن الأرض المقدسة في القرآن الكريم ويلاحظ من خلال الآيات والأحاديث أن الأرض المقدسة ما بين النيل والفرات، ثم بينت أن فلسطين كلها أرض البركة والقداسة بعد ذلك أشرت إلى كثير من الأحاديث النبوية التي تحدثت عن القدس ومكانتها. ثم تحدثت عن الفتح الإسلامي لمدينة القدس وبعدها بينت المكانة التي تتمتع بها القدس بين المسلمين وأخيرا خلصت إلى الخاتمة والتي ضمنتها إلى أبرز النتائج المستخلصة.

القدس قبل الإسلام: إن الكنعانيين وأصلهم من العموريين المهاجرين من شبه الجزيرة العربية إلى أرض كنعان في فلسطين ؛ هم أول الشعوب التي سكنت أرض مدينة القدس وهم بناتها الأولون في حدود الألف الثالث قبل الميلاد، وهي الفترة التي شهدت فيها المدن الفلسطينية بفضل الكنعانيين ازدهارا واضحا وتقدما حضاريا بارزا، ويطلق عليها العلماء عصر دويلات المدن، فقد كانت كل مدينة كنعانية تتمتع آنذاك بقوى اقتصادية وسياسية مستقلة عن غيرها من المدن وتضم معبدا أو أكثر

وبعض المرافق العامة والمنازل بأحجامها المختلفة[1]. والعرب اليبوسيون هم آخر الأقوام التي دخلت مدينة القدس القديمة واستوطنوا وعاشوا فيها قبل الاحتلال الإسرائيلي، فعمل على إعادة بنائها وتحصينها من أعدائهم الطامعين بها وبقايا السور اليبوسي لأكبر شاهد على ذلك.

واليبوسيون بطن من بطون العرب نشأوا في صميم الجزيرة العربية، وترعرعوا في أرجائها ثم نزحوا مع من نزح من القبائل الكنعانية وسكنوا أرض القدس في فلسطين بدليل ارتباطهم فقط بمدينة القدس وكانت تدعى في عهدهم "يبوس" إضافة إلى عدم وجود ما يشير إلى انتشارهم في أنحاء أخرى من فلسطين. من هنا يتضح لنا أن العرب هم أول من سكن مدينة القدس، وبذلك يتبين أن حجة اليهود في أنهم أحق بفلسطين أو القدس لأنهم كانوا يملكونها حجة واهية لسببين:

1 – أن هذا السبب في منطق الأعراف الدولية والشرائع لا يعتبر، وإلا لترتب على ذلك تغيير خارطة العالم وساغ للعرب والمسلمين أن يطالبوا بالأندلس التي حكموها لعدة قرون. وأن يطالبوا بممالك متعددة حكموها مدة أطول من حكم يهود لبعض أماكن في فلسطين.

2 – على فرض صحة هذا المنطق غير السليم فإن وجود العرب في هذه المدينة أقدم من الوجود اليهودي، قال نيوتن: فالعرب لا اليهود هم أصحاب تلك الصلة التاريخية الثانية المتمادية غير المنطقية وعند العلاّمة المحقق المشهور جمس فريزر أن الناطقين بالعربية من فلاحي فلسطين هم من ذراري القبائل التي استوطنت فلسطين قبل الغزو الإسرائيلي وأنهم ما زالوا متصلين بالأرض لم ينفكوا عنها، ولا اقتلعوا منها ولئن طغت عليهم الفتوح

1- الموسوعة الفلسطينية 3 / 278، وانظر القدس تاريخ وحضارة، ص24.

موجات فإنهم ثبتوا وأقاموا.

3 – وقصارى القول انه صح لليهود وجود مدة مئات السنين فللعرب في فلسطين إقامة مثمرة مدتها ألوف لا مئات[1].

إن الدفاع عن عروبة فلسطين وإسلاميتها لا يحتاج إلى تزوير التاريخ أو تشويه الحقائق بل إن هذا التشويه يفسد ولا يصلح فالحقائق الواضحة الظاهرة يجليها التمسك بالحق والبعد عن التزوير والتهويل وأمامنا من نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة ما لا يدع مجالا للشك إسلامية القدس وفلسطين. فما أجدرنا أن نبرز هذه الحقائق ونسعى إلى تحقيقها وإظهارها.

من مظاهر تزييف وتحريف التاريخ عند اليهود : إن اليهود زيفوا كثيرا من الحقائق التاريخية سعيا إلى تحقيق أهدافهم، ومن ذلك أن التوراة التي أعادوا كتابتها في بابل لم تذكر ذهاب إبراهيم إلى الحجاز وسكتت عن كل ما يتصل بعلاقة إبراهيم عليه السلام بالجزيرة العربية ومكة وبناء الكعبة، والهدف من ذلك إخراج بني إسماعيل من استحقاقات الوعد الذي تلقاه من ربه وقصره على بني إسرائيل دون بني إسماعيل. ومن هنا كانت دعوة "شعب الله المختار" كما ادعوا أن الذبيح هو إسحاق[2] وليس إسماعيل .

– كما زيف اليهود دور الحنيفية الإبراهيمية كله من إبراهيم إلى محمد ﷺ، ووقفوا موقفا مفصلا من الهجرات المتوالية التي امتدت منذ 1750ق .م إلى ظهور الإسلام إلى خلال 2400 سنة، وهي الهجرات التي أنشأت حضارات بابل والعموريين والكنعانيين، فقد نسب يهود ذلك إلى جد أعلى

1– مكانة القدس في الإسلام، ص13 .

2– الكتاب المقدس وسفر التكوين 22 ،ص24 – 25.

حتى لا يثبت الفضل للعرب، والمعروف أن الهجرات التي تمت منذ جاء إبراهيم وإسماعيل إلى الحجاز قد قذفت بموجات متوالية من العرب أهل الجزيرة إلى مختلف أجزاء المنطقة العربية الممتدة ما بين النهرين إلى الشام إلى مصر والمغرب، وهذه الموجات هي التي استقبلت الفتوح الإسلامية، وقد كانت حاضرات هذه الأمم الصادرة من الجزيرة العربية عربية خالصة كما أثبتت الكشوفات الأثرية، ولكن اليهود نسبوا إلى "سام" حتى يطمسوا أمجاد الحنيفية الإبراهيمية الممتدة من إبراهيم إلى محمد والتي حرفها يهود حين حولوا دين موسى إلى عنصرية شعب الله المختار[1].

وخلاصة الأمر أن اليهود قد برعوا في تزييف التاريخ وتحريفه ليخدموا أهدافهم ومصالحهم الخبيثة، ولا يليق بنا معشر المسلمين أن نلجأ إلى مثل هذا الأسلوب القذر، لأننا ننطلق من مبادئ الإسلام العظيم الذي لا يقبل إلا السلوك القويم والمنهج الصحيح سبيلا إلى الغاية الشريفة والمقصد الحسن.

ولن أطيل في هذه المقدمة عن القدس قبل الإسلام حتى أصل إلى صلب الموضوع للتأكيد على إسلامية القدس وقضيتها وإسلامية فلسطين.

مكانة القدس وفلسطين في الإسلام:

أولاً: من خلال القرآن الكريم: تمثل القدس في الإسلام مكاناً بارزاً ومهماً، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وقد بدأ الاهتمام بالقدس من الجانب الإسلامي عندما نزلت سورة الإسراء على رسول الله ﷺ في وقت مبكر من البعثة التي خص بها الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ.

ولقد تحدث القرآن الكريم عن أرض فلسطين في سور وآيات كثيرة

1- المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، ص122.

مشيراً إلى أنها أرض مباركة وأرض مقدسة، وحينما يجلّ القرآن الكريم بعض الأماكن من الأرض فإنه بذلك يوضح ارتباط الأنبياء وعلاقتهم المقدسة بها، وسنلاحظ أن الأماكن المقدسة التي أشار إليها القرآن الكريم محدودة أولاً، ولها ارتباط وثيق بالأنبياء.

ثانياً: وإن كانت مقدسة عند هذا النبي فهي لدى الأنبياء كافة، ولفلسطين وما حولها من البلاد تاريخ إسلامي عريض، هاجر إليها مجاهدون أبرار وقامت فيها دول إسلامية وهزمت عليها جيوش كافرة.

وسأقف مع هذه الآيات الكريمة التي وصفت أرض فلسطين بالبركة والتقديس في محاولة لفهم المكانة العظيمة التي تبوأتها هذه الأرض – أرض النبوات والرسالات-.

أ) الأرض المباركة في القرآن الكريم: لقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى حقيقة قاطعة وهي البركة التي باركها الله لهذه الأرض المباركة، وجعلها دائمة مستقرة مستمرة، ولو وقفنا على كلمة "باركنا" الواردة في القرآن الكريم فإننا نقف على ملاحظة هامة وهي: لقد حصرت آيات القرآن الكريم الفعل الماضي "باركنا" في الأرض المباركة فلسطين وما حولها.

ورد فعل "باركنا: ست مرات في القرآن الكريم، وهو في هذه المرات كلها، جاء إخباراً عن الأرض المباركة، وتقرير أن الله سبحانه هو الذي بارك فيها. قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ)[1].

يقول القرطبي في تفسيرها: يريد "نجينا إبراهيم ولوطاً إلى أرض الشام، وكانا بالعراق وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها، ولأنها

1- الأنبياء: 71.

معادن الأنبياء، والبركة ثبوت الخير ومنه برك البعير إذا ألزم مكانه فلم يبرح، وقيل: الأرض المباركة بيت المقدس لأن منها بعث الله أكثر الأنبياء"[1] .وقال أبو السعود "أي من العراق إلى الشام، وبركاته العامة أن أكثر الأنبياء بعثوا فيه، فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادئ الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية، وقيل كثرة النعم والخصب الغالب، روى أنه عليه الصلاة والسلام نزل بفلسطين ولوط عليه الصلاة والسلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة"[2].

وقال سيد قطب: "وهي أرض الشام التي هاجر إليها إبراهيم وابن أخيه لوط، فكان مهبط الوحي فترة طويلة، ومبعث الرسل من نسل إبراهيم، وفيها الأرض المقدسة وثاني الحرمين وفيها بركة الخصب والرزق إلى جانب بركة الوحي والنبوة جيلاً بعد جيل"[3].

هذه الأرض التي أقام فيها النبيان الكريمان – إبراهيم ولوط – عليهما السلام هي المقصودة بقوله تعالى: (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ).

وفي سورة الصافات: حيث يقول الله تعالى عن إبراهيم وإسحاق عليهما السلام (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ)[4].

أقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام في بقعة من هذه الأرض المباركة التي بارك الله فيها وذهب في زيادة إلى مصر وجرت له مشكلة مع ملك مصر

1- الجامع لأحكام القرآن 11 / 305.

2- تفسير أبي السعود 6 / 77، وانظر: التحرير والتنوير 17 / 108.

3- في ظلال القرآن 4 / 2388.

4- الصافات: 112 – 113.

لظلم الفاجر، حيث أراد الاعتداء على زوجه سارة ولكن الله حفظها وصانها وهي عند الملك بمعجزة ربانية، جعلت ذلك الملك يكرم إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما روى ذلك البخاري ومسلم في صحيحهما عن رسول الله ﷺ وعاد إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين، وهناك ولدت هاجر ابنه إسماعيل عليه السلام وتوجه بهاجر وابنها إسماعيل إلى بلاد الحجاز كما أمره الله سبحانه وتعالى. وعاد إلى مقر إقامته في الأرض المباركة وهناك حملت زوجته سارة وولدت له ابنه الآخر إسحاق عليه السلام.

وبارك الله على إبراهيم عليه الصلاة والسلام المقيم في الأرض المباركة، كما بارك الله على ابنه إسحاق عليه السلام المقيم في الأرض المباركة[1] وباركنا عليه وعلى إسحاق .

وأقام إسحاق عليه السلام في فلسطين في الأرض المباركة، وأقام فيها من بعد ابنه يعقوب عليه السلام واستمر الحال على ذلك حتى كانت هجرة يعقوب وذريته إلى مصر وأقام بنو إسرائيل في مصر بعد وفاة يعقوب ويوسف عليهما السلام وشهد إقامتهم مرحلة من الاضطهاد والإيذاء، وقد بلغت هذه المرحلة أوجها في عهد فرعون إلى أن حقق الله مشيته وإرادته بإنهاء اضطهادهم، فبعث موسى عليه الصلاة والسلام نبياً، وأرسله إلى فرعون، وطلب منه أن يرسل معه بني إسرائيل، وان يسمح لهم بالخروج معه من مصر. وبعد غرق فرعون وقومه كان جزاء الصابرين من قوم موسى أن أورثهم الله الأرض المباركة وأتم عليهم كلمته الحسنى.

مجيء بني إسرائيل إلى فلسطين: قال الله تعالى: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى

---

[1] حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، ص30.

عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ)[1].

تخبرنا هذه الآية الكريمة عن نهاية المواجهة بين موسى عليه السلام وقومه المؤمنين من بني إسرائيل من جهة، وبين فرعون وقومه من جهة أخرى، حيث أنجى الله موسى وأتباعه المؤمنين من فرعون وقومه، وجعلهم يعبرون البحر إلى الأرض المقدسة ولما لحق بهم فرعون وملؤه أطبق عليهم وأغرقهم فيه. وبذلك أورث الله موسى وقومه المؤمنين الذين كانوا مستضعفين في مصر عند فرعون، وملّكه الأرض التي باركها وبارك فيها سبحانه، وصاروا يتجولون في مشارق هذه الأرض ومغاربها.

وجعل الله لأولئك القوم المؤمنين هذه الأرض المباركة، جائزة لهم على إيمانهم، وثمرة مباركة لجهادهم وصبرهم وثباتهم على الحق" وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها.

وفي قصة سليمان عليه السلام: جاء الحديث عن الأرض المباركة بوضوح حيث قال الله تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ)[2].

والمفسرون يقولون أن المقصود بالأرض المباركة هنا أرض الشام[3] استقر بنوا إسرائيل المؤمنون في الأرض المباركة (فلسطين) وأقاموا فيها حكما إسلاميا على يدي يوشع بن نون وخلفائه المؤمنين الصالحين.

ومكن الله النبي الملك سليمان عليه السلام في الأرض وتوسع ملكه وسلطانه وامتدت دولته خارج الأرض المباركة ووصلت إلى اليمن حيث

1- الأعراف: 137.

2- الأنبياء: 81.

3- تفسير الطبري 8 / 17، والقرطبي 11 / 322، أبن كثير 3 / 196، وأنظر فتح القدير 3 / 419.

مملكة سبأ هناك.

ولقد نشأت صلة وثيقة بين ملكة سبأ في اليمن وبين فلسطين الأرض المباركة بعدما أسلمت ملكة سبأ واتبعت سليمان عليه السلام وأتته إلى مقره في فلسطين.

وقد شهدت مملكة سبأ ازدهاراً ورخاء ونشطت التجارة بينها وبين فلسطين والشام مما أدى إلى إنشاء القرى والتجمعات السكانية على امتداد الطريق بين اليمن وفلسطين، وإلى هذا تشير آيات سورة سبأ حيث قال الله تعالى: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)[1].

جعل الله قرى بارزة عامرة آهلة بالسكان بين قوم سبأ باليمن وبين القرى الظاهرة التي بارك الله فيها وهي قرى الشام وفلسطين المباركة التي كانت عامرة آهلة بالسكان وعن ابن عباس أنها "بيت المقدس"[2].

وبعد هذا الرخاء والنعيم والأمن الذي نعمت به مملكة سبأ كان لابد أن تقع العقوبة الإلهية على أولئك بسبب كفرهم بالنعم وظلمهم لأنفسهم .

الإسراء إلى فلسطين: جاء في سورة الإسراء الإشارة لتحديد المسجد الأقصى والأرض المباركة من حوله وبيان قيمة هذه الأرض ومكانتها فقد خصها الله تعالى بأن أسرى نبيه ﷺ إليها. قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ

1- سبأ: 18 – 19.

2- تفسير ابن كثير 3 / 541، وأنظر معارج الفكر ودقائق التدبر 12 / 64.

الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[1] .

هذه المرة الأخيرة – حسب التسلسل التاريخي – التي أخبر الله فيها عن فلسطين أرض الإسراء بأنها أرض مباركة. لقد شاءت حكمة الله تعالى أن يعيش آخر الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ في بلاد الحجاز عند بيته المحرم في مكة، وان يكون إسراؤه به من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في الأرض المباركة تمهيداً لعروجه إلى السماوات العلى.

فكان الإسراء إلى الأرض المباركة ربطاً آخر بين البقعتين المباركتين في الحجاز وفلسطين، مكة والقدس، المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

- لقد تم الارتباط بين البقعتين مرتين:

المرة الأولى: زمن سليمان عليه السلام عندما جمع بين ملك فلسطين وملك الحجاز وعسير وكان هذا الربط ثمرة من ثمار الحكم الإسلامي الرباني، الذي أقامه سليمان عليه السلام في كل من فلسطين واليمن، ولما تخلى اليهود بعد موت سليمان بفترة عن هدي الله وكفروا وطغوا وبغوا هم وكفار سبأ في اليمن قطع الله بين البقعتين، ودمر القرى الظاهرة بينهما، ومزق قوم سبأ شر ممزق وشرد اليهود من فلسطين، وشتتهم في الأرض.

المرة الثانية: لما أسرى الله برسوله محمد ﷺ إلى الأرض المباركة، لأنه خاتم المرسلين ورسالته خاتمة الرسالات وأمته خاتمة الأمم، أمة الشهادة والخلافة على العالمين حتى قيام الساعة والأمة الوارثة للبركة والقداسة وهي الأمة الوارثة للأرض المباركة فلسطين ورثتها عن الأنبياء الكرام إبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام.

1- الإسراء: 1.

وبوصول إرث الأرض المباركة إلى هذه الأمة المباركة عمت البركة الربانية هذه الأرض وما حولها "المسجد الأقصى الذي باركنا حوله" وشملت كل البقعة المباركة الممتدة ما بين النهرين: الفرات والنيل.

ولهذا رأى الرسول ﷺ هذين النهرين الفرات والنيل ينبعان من الجنة لما صعد إلى السماء السابعة في ليلة المعراج أثناء رحلة الإسراء والمعراج.

بعد هذه الجولة السريعة مع العرض القرآني للأرض المباركة، نرى أن الله تعالى قد بارك المسجد الأقصى وما حول المسجد الأقصى وامتدت هذه البركة الربانية لتشمل البقعة الإسلامية الواقعة بين النهرين الفرات والنيل.

وقصة الإسراء والمعراج معجزة تشكل مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية بكامل ملامحها وصورها، كما أن سورة الإسراء تعكس تصوراً فريداً عن العلاقة بين المسلمين وفلسطين وبين اليهود والمسلمين من جهة أخرى كما تشير إلى أبعاد الصراع وامتداده إلى آخر الزمان، وأن هذه الأرض ستكون ميدان هذا الصراع وأنه سيحسم لصالح المسلمين وسيشهد الكون انتهاء الإفساد اليهودي والعلو الإجرامي بالهلاك والتبار على أيدي المؤمنين الصادقين. يقول الله تعالى في أول سورة الإسراء: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً)[1].

فما العلاقة بين حادثة الإسراء وبين إفساد بني إسرائيل ؟

إن رحلة الإسراء كانت فتحاً روحياً لأرض فلسطين وبيت المقدس في وقت مبكر من الدعوة الإسلامية، فالعلاقة إذن بين مكة والقدس علاقة مؤسسة على العقيدة الإسلامية ومبنية على الإيمان والتقوى. وكان في علم الله تعالى أن يفسد اليهود إفسادهم الأول: في عهد الرسول ﷺ حيث

1 - الإسراء: 4.

حاولوا بكيدهم وتآمرهم أن يوقعوا بالرسول والمسلمين مرة بعد مرة[1]. وبعد خروج يهود من المدينة المنورة توجه من تبقى منهم باتجاه فلسطين وما حولها ظناً منهم أنهم سيكونون في مأمن من زحف المسلمين وفتحهم المتواصل.

ارتبط الصراع بين الإسلام واليهود بالقدس ارتباطا عقديا، فقد كان يهود حسب ما أوردت المصادر يتوجهون في صلاتهم نحو بيت المقدس، وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة توجه نحو بيت المقدس في صلاته مدة ستة عشر شهرا، عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: "صليت مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، ثم صرفنا إلى الكعبة"[2]، لكن الرسول ﷺ كان يحب أن يتوجه إلى البيت الحرام الذي بنى قواعده أبو الأنبياء وإمامهم إبراهيم عليه السلام.

- أما الإفساد الثاني: فهو الكائن في هذه الأيام حيث نجد يهود قد علوا وأفسدوا وسيطروا على مقدرات الأمم وخيرات الشعوب وتحكموا على مواقع صنع القرار، وبأيديهم المال والأعلام والإمكانات الهائلة وهم لا يكفون عن التصريح في كل مناسبة أن القدس عاصمتهم الأبدية وإنهم لن يتنازلوا عن شبر واحد منها على الرغم من الاتفاقيات والمعاهدات التي وقعوها في كامب ديفيد أو وادي عربة أو أوسلو أو الاجتماع الأخير في أنابولس أو غير ذلك.

هذان الإفسادان ذكرا بعد الآية التي أخبرت عن حادثة الإسراء وفي ذلك إشارة صريحة إلى أن يهود ستكون لهم صولة وجولة في آخر الزمان يحتلون

1- انظر: تفصيل ذلك في البداية والنهاية 3 / 318، 368، 386، 388.

2- صحيح البخاري 1 / 374، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة.

فيها القدس وفلسطين ويحكمون قبضتهم على الأرض المباركة، ويظهرون فيها الفساد ويظل الأمر على ذلك حتى يعود المسلمون إلى دينهم عودة صادقة ويلتزمون أمر الله وعندئذ يسلطون على يهود ويقتلونهم ويدخلون المسجد كما دخلوه أول مرة.

ومما يستحق التنبيه عليه أن قضية بني إسرائيل ذكرت مرتين في هذه السورة، مرة في أولها وذلك في الآية الثانية وما بعدها، ومرة في نهاية هذه السورة وذلك في الآية الواحدة بعد المائة وما بعدها، وكان ذلك إشارة إلى علوهم الأول وعلوهم الأخير[1]، والله تعالى أعلم.

بعد هذه الجولة السريعة مع العرض القرآني للأرض المباركة، نرى أن الله سبحانه وتعالى قد بارك المسجد الأقصى وما حول المسجد الأقصى وامتدت هذه البركة الربانية لتشمل البقعة الإسلامية الواقعة بين النهرين: الفرات والنيل. لقد مرت البركة الربانية للأرض المباركة بعدة مراحل أشارت آيات القرآن الكريم إلى ست مراحل تاريخية منها، حاولت ترتيبها تاريخيا أثناء وقفتي مع الآيات الست التي تحدثت عنها:

1 – هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى الأرض المباركة، قادمين من العراق كما أشارت آية سورة الأنبياء.

2 – البركة التي جعلها الله على إبراهيم وابنه إسحاق عليهما السلام وذريتهما الصالحة عندما أقاما في الأرض المباركة كما أشارت آية سورة الصافات.

3 – توريث الله لبني إسرائيل المؤمنين هذه الأرض المباركة وانتشار الخير والثمار فيها، كما أشارت آية سورة الأعراف.

1- حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، 150 – 178.

4 – حكم سليمان عليه السلام لهذه الأرض المباركة وانتشار الخير والثمار فيها، كما أشارت آية سورة الأنبياء.

5 – انتشار القرى الظاهرة العامرة بين هذه الأرض المباركة وبين اليمن أثناء حكم سليمان عليه السلام، مظهر من مظاهر الحكم بشرع الله، كما أشارت إليه آية سورة سبأ.

6 – انتهاء هذه الأرض المباركة للأمة المسلمية واستقرارها لها ووراثة الأمة لحكمها بعد هذه الجولة التاريخية وبقاؤها فيها حتى قيام الساعة، باستثناء فترات تاريخية قصيرة كما أشارت آية سورة الإسراء.

ثانياً: الأرض المقدسة في القرآن الكريم: وردت مادة "قدس" في القرآن الكريم عشر مرات والذي يهمنا في بحثنا هذا ما يتعلق بالأرض المقدسة.

1 – قال الله تعالى: (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً)[1]، الأرض المقدسة: أي المطهرة سميت بذلك لأن الله أخرج منها الكافرين وعمرها بالمؤمنين[2].

2 – وقال الله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)[3]، وطوى: اسم موضع في الشام[4]. وهذا الوادي المقدس الذي نادى الله موسى فيه في سيناء اسمه: وادي طوى، لأن طوى في الآيتين بدل من الواد. وهو الذي قال الله عنه: (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ

1- طه: 11 – 12.

2- تفسير القرطبي 11 / 149، وانظر: زهرة التفاسير 9 / 4710.

3- النازعات: 15 – 17.

4- القرطبي 11 / 149، تفسير القاسمي 1 / 44.

يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)[1]. ونلاحظ أن القرآن الكريم وصف الوادي والبقعة بصفتي القداسة والبركة، فالواد هو "الواد المقدس" والبقعة التي فيه هي البقعة المباركة.

والمقدس: صفة الوادي وهو اسم مفعول، وهو مأخوذ من القداسة والطهارة والذي قدسه وطهره هو الله تعالى.

والمباركة: صفة البقعة التي في الوادي، وهي اسم مفعول من البركة والنماء والذي باركها وأقر الخير فيها هو الله تعالى. وهذا معناه أن أرض سيناء أرض مباركة ومقدسة بنص هذه الآيات وهي جزء من الأرض المباركة، الواقعة ما بين النهرين الإسلاميين: الفرات والنيل[2].

الأرض المقدسة ما بين النيل والفرات: الأرض المقدسة: صفة للأرض المباركة، وروت مرة واحدة في قصة موسى عليه السلام عندما خرج ببني إسرائيل من مصر وأقاموا فترة في سيناء، فأمرهم بدخول فلسطين، فرفضوا وجبنوا عن الجهاد فكتب الله عليهم "التيه" في الصحراء أربعين سنة، حتى نشأ جيل جديد على الجهاد فقادهم موسى عليه السلام ودخل بهم خليفته (يوشع بن نون) الأرض المقدسة.

ورد هذا الكلام في آيات سورة المائدة (قصة تيه بني إسرائيل). قال الله تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا

1- القصص: 30.

2- حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، 43 – 44، وانظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج 15 / 14.

أَبداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)[1].

والذي يستوقفنا من هذه الآيات قوله تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ).

الأرض المقدسة التي أمرهم موسى عليه السلام بدخولها هي (فلسطين)[2] حيث كانوا مقيمين في صحراء سيناء وقتها، وقال في تفسير الجلالين الأرض المقدسة هي "بيت المقدس"[3].

ومعنى قوله: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) أن الله كتبها وجعلها لذلك الجيل المؤمن من بني إسرائيل كتبها الله له لإيمانه وطاعته لله وليس لأنه من نسل إبراهيم عليه السلام، فكتابة الله الأرض المقدسة لبني إسرائيل زمن موسى عليه السلام كتابة خاصة في زمن خاص لجيل خاص، لعلة خاصة، وليست كتابة أبدية عامة (جنسية لليهود) باعتبارهم يهود حتى قيام الساعة، كما يزعم يهود هذا الزمان.

لقد كتب الله الأرض المقدسة فلسطين لذلك الجيل المؤمن من بني إسرائيل لإيمانهم وفضلهم على الكافرين الذي كانوا في زمانهم، ومكنهم من دخولها على يد "يوشع بن نون" ونصرهم على أعدائهم الكافرين وأقاموا في فلسطين معززين مكرمين إلى حين.

فلما جاءت أجيال جديدة منهم وخالفت شرط الاستخلاف، ونقضت

1- المائدة: 21 – 26.

2- الجامع لأحكام القرآن 6 / 111، التحرير والتنوير 6 / 162، تفسير المنار 6 / 269، وانظر اللباب في علوم الكتاب 3 / 269.

3- تفسير الجلالين، 111، زبدة التفاسير، 14، وانظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي 3 / 450.

عهد الله وكفرت وبغت أوقع الله بهم لعنته وسخطه ونزع الأرض المقدسة منهم وكتب عليهم الشتات والضياع في بقاع الأرض بمفهومها العام[1].

فلسطين أرض البركة والقداسة: في ختام كلامنا عن الأرض المباركة والأرض المقدسة في القرآن الكريم نشير إلى هذه الخلاصة القرآنية الهامة في هذه النقاط:

1 – الأرض المباركة في القرآن الكريم هي أرض الرباط والجهاد والتحدي والحسم وهي الواقعة ما بين الفرات والنيل.

2 – الأرض المقدسة في القرآن الكريم هي هذه الأرض نفسها.

3 – وقد سكن هذه الأرض المباركة في الماضي أجيال مؤمنة من بني إسرائيل وأقاموا عليها حكماً إسلامياً مباركاً، فزمن يوشع بن نون، وطالوت، وزمن داوود، وسليمان عليهما السلام.

4 – أخرج الله الأحفاد الكافرة لتملك الأجيال المؤمنة من هذه الأرض المباركة المقدسة والذين سموا باسم "اليهود" وقطعهم في بقاع الأرض المختلفة بسبب كفرهم وبغيهم.

5 – جعل الله هذه الأرض المباركة المقدسة لأطهر وأقدس أمة التي تحمل أطهر وأقدس رسالة وهي امة محمد ﷺ حاملة الإسلام للعالم وجعل هذه الأرض لها حتى قيام الساعة.

6 – أوجب الله على امة محمد ﷺ الوقوف أمام أطماع اليهود الأنجاس في هذه الأرض المباركة وذلك بجهادهم وقتالهم وتطهير هذه الأرض من رجسهم ودنسهم.

7 – إن فلسطين هي أرض البركة والقداسة، وإن ما حولها من الأرض والواقعة ما بين الفرات والنيل هي البركة والقداسة، وهي أرض إسلامية

1– في ظلال القرآن، 862، 871، حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، 45.

تنشر الإسلام في باقي الأراضي وتقدم الطهر والخير إلى باقي البلدان.

القدس في السنة النبوية: أشارت السنة النبوية إلى مكانة القدس ومسجدها وفضلهما وفضل سكناها وسكنى الأرض المباركة من حولها فبعد أن بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة المشرفة بأمر الله تعالى ثم عاد إلى القدس فبنى المسجد الأقصى بعد ذلك بأربعين سنة[1] ففي حديث أبي ذر ﷺ قال: "قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أول، قال: المسجد الحرام، قلت ثم أي ؟، قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما ؟ قال: أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد"[2].

يقرر رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق في هذا الحديث الصحيح أن المسجد الأقصى في بيت المقدس هو ثاني مسجد بُنيّ للصلاة ويقرر المدة الزمنية بين بناء الكعبة المشرفة وبناء الأقصى بأنها أربعون سنة. إن إبراهيم عليه السلام هو باني الكعبة – بنص القرآن – ولذلك فهو باني المسجد الأقصى في بيت المقدس.

بنى إبراهيم الكعبة ثم عاد إلى موطنه في "بيت المقدس" وهناك أمره الله تعالى ببناء ثاني بيت لله وهو المسجد الأقصى، وكون إبراهيم هو باني أول مسجد في الأرض يوضح المعنى أنه إمام هدى وإمام دعوة. ليس غريباً إذن ولا مستبعداً أن يبني إبراهيم المسجد الأقصى بعد بنائه الكعبة بأربعين سنة.

– وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: "أتاني نبي الله ﷺ وأنا نائم في مسجد المدينة فضربني برجله فقال: ألا أراك نائماً فيه، قلت: يا نبي الله غلبتني عيني، قال: كيف تصنع إذا أخرجت منه ؟ قال: آتي الشام الأرض المقدسة المباركة، قال: كيف تصنع إذا أخرجت منه ؟ قال: ما أصنع يا نبي الله ؟

1- الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل، 80.

2- البخاري 4 / 136، صحيح مسلم بشرح النووي 4 / 83، ومسند أحمد 5 / 105.

أضرب بسيفي، فقال النبي ﷺ: ألا أدلك على خير من ذلك وأقرب رشداً ؟ تسمع وتطيع وتنساق لهم حيث ساقوك"[1].

- روى الإمام احمد عن ذي الأصابع قال: "قلت: يا رسول الله إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا، قال: عليك بيت المقدس، فلعله أن ينشأ لك ذرية يغدون إلى المسجد ويرجعون"[2].

- وعن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: "يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس، فقال: أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه، قالت : أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه ؟ قال: : فليهد إليه زيتاً يسرج فيه فإن من أهدى له كان كمن صلى فيه"[3].

- وفي رواية قالت: "يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس فقال: أرض المحشر والمنشر، ابنوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة، قالت: أرأيت إن لم نطق أن تتحمل إليه أو نأتيه، قال: فاهدين إليه زيتاً يسرج فيه، فإن من أهدى له كان كمن صلى فيه"[4].

- عن أمّ سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: "من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر الله ما تقدم من ذنبه أو وجبت له الجنة"[5] شك عبد الله أيتها قال.

- وعن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: سيصير الأمر إلى أن تكونوا أجناداً جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق،

1- مسند أحمد 5 / 156.

2- مسند احمد 4 / 67.

3- ابن ماجه 1 / 429 ؛ مسند أحمد 6 / 463، أبو داود 1 / 451.

4- أبو داود 1 / 451.

5- أبو داود 2 / 144.

قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك فقال: عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إلى خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم فإن الله توكل لي بالشام وأهله.

- وفي رواية قال: فلما رأى كراهتي للشام قال: أتدري ما يقول الله تعالى في الشام ؟ إن الله تعالى يقول: يا شام أنت صفوتي من بلادي، أدخل فيك خيرتي من عبادي، إن الله تكفل لي بالشام وأهله"[1].

- أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ قال: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى"[2].

- وروى البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء رفعه " الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة في مسجدي بألف صلاة والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة "[3].

- وعن أبي أمامه الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: " لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: فأين هم قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس"[4].

وبيت المقدس وأكنافه موطن الملحمة الجهادية التي يطيح بها أخبار البرية لشر البرية وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الشجر

1- أبو داود / 2383، مسند أحمد 4 / 100 – 110، 5 / 33 – 34، الحاكم في المستدرك 4 / 510.

2- رواه البخاري 2 / 58.

3- رواه البزار والطبراني انظر: حاشية ابن سودة وصحيح البخاري 1 / 318.

4- الطبراني رقم: 7643.

والحجر فيقول الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود".

هذه لطائف من الأحاديث وردت في فضل الشام وفلسطين والقدس ولهذه الأحاديث والآثار وغيرها تعلق المسلمون بالقدس وقصدوا مسجدها للصلاة فيه، وتنافس المفسرون في إعماره أو بإنشاء أية أبنية في ساحته ليتقربوا بها إلى الله سبحانه وتعالى وبخاصة أن القدس هي موطن الإسراء والمعراج. وقد بينت روايات حديث ليلة الإسراء والمعراج أن النبي ﷺ رأى نهرين ظاهرين يجريان فسأل عنهما فقيل له: هذا النيل والفرات[1].

لا عجب إذن حين نرى المطامع الصهيونية واليهودية والسعي الحثيث من أجل السيطرة على الأرض المباركة التي بين هذين النهرين، وإلحاحهم المستمر أيضاً على تحسين العلاقات مع تركيا للسيطرة على منابع الفرات وعلى الحبشة والمناطق المحيطة بجنوب السودان للسيطرة على منابع النيل، فاليهود يخططون ويعلنون عن مخططاتهم بصراحة لو كان العرب المسلمون يقرؤون أنشودة اليهود الشهيرة: (حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل)[2]، وهذه رايتهم المحاطة بخطين أزرقين يمثلان الفرات والنيل.

الفتح الإسلامي لمدينة القدس: لقد كان رسول الله ﷺ أول فاتح للأرض المقدسة ليلة الإسراء والمعراج وهذا عهد منه ﷺ لأمته من بعده بأن تفتح هذه الأرض المقدسة عملياً.

ففي ليلة الإسراء جاء الأنبياء وسلموا محمداً ﷺ المسؤولية والخلافة والأمانة والعهدة وأوكلوا له – ولأمته من بعده – مهمة الأرض المقدسة،

1- حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية / 103، فضائل بيت المقدس / 56، 57.

2- المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية / 211.

ورعايتها وحمايتها والخلافة عن الله تعالى فيها، واستمرار الإيمان عليها حتى قيام الساعة.

"لقد سلم الأنبياء السابقون – ومنهم أنبياء بني إسرائيل – مفاتيح الأرض المقدسة لمحمد ﷺ ليلة الإسراء وأعلنوا عن انتهاء استخلاف أقوامهم من اليهود والنصارى وانتهاء مسؤولية هؤلاء الأقوام على الأرض المقدسة، وتحويل هذه الخلافة والمسؤولية لأمة محمد ﷺ وانتقال الإشراف على الأرض المقدسة إلى هذه الأمة واستمرار هذه المسؤولية فيها حتى قيام الساعة"[1].

وقبل أن تتشكل الدولة الإسلامية في المدينة المنورة كانت أنظار القلة المستضعفين من المسلمين في مكة تتجه إلى المسجد الأقصى وبيت المقدس في فلسطين، إذ إن معجزة الإسراء تمت من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكان المسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلين في الصلاة، وقد كان فتح خيبر وفدك (7هـ) وغزوة مؤتة (8هـ) وتبوك (9هـ) وحملة أسامة بن زيد (11هـ) مقدمة لتطلع المسلمين إلى بلاد الشام.

أما فتح فلسطين فكانت أبرز المعارك التي أدت إلى فتحها هي معركة أجنادين بقيادة خالد بن الوليد ﷺ سنة (13هـ)، ومعركة فحل – بيسان(13هـ) – والتي كان ميدانها غرب نهر الأردن إلى الجنوب من بيسان، أما المعركة الفاصلة فكانت معركة اليرموك شمال الأردن (15هـ) والتي واجه فيها جيش المسلمين المكون من (36 ألفا) بقيادة أبي عبيدة وخالد بن الوليد – رضي الله عنهما –، جيش الروم البالغ (200 ألف) فقد حلت كارثة

1- حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، 99.

كبرى في الروم قدّرها بعض المؤرخين نحو (130 ألف قتيل)[1]، وقد أدت هذه المعركة إلى فتح بلاد الشام.

وجاء عمر بن الخطاب ﷺ لاستلام مفاتيح بيت المقدس بعد أن حاصرها المسلمون بضعة أشهر ورغب أهلها في الصلح شرط أن يتولى عمر بن الخطاب ﷺ العقد بنفسه وهي المدينة الوحيدة في عهد الراشدين التي تولى الخليفة بنفسه استلام مفاتيحها وكان ذلك عام (15ه) وقد شارك عمر بن الخطاب في الفتح نحو (4000) من الصحابة وصدح صوت بلال بن رباح فيها بالآذان بعد أن كان امتنع عن ذلك منذ وفاة رسول الله ﷺ [2]، وقد كتب عمر بن الخطاب لأهل القدس عهدا، اشتهر باسم "العهدة العمرية"[3] وقد جاء فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم احد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم وهو آمن وله مثلما على إيلياء من الجزية.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة

1- دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص22.

2- تاريخ فنون الشام، ص315.

3- تاريخ الرسل والملوك 3 / 418.

المؤمنين إذ أعطوا الذين عليهم من الجزية".

شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة[1].

ويعكس هذا النص مدى التسامح الديني في عالم كان يسوده التعصب الأعمى والإكراه على الدين وقد تم فتح القدس على الأرجح في ربيع الآخر (15هـ) وكانت قيسرية آخر مدينة تفتح في فلسطين.

الواقع أن أهل القدس هم الذين طلبوا من الخليفة عدم سكن اليهود معهم في المدينة، وذلك بسبب ما عانوه من قتل وذبح من قبل اليهود أيام الغزو الفارسي[2].

وتوضح العهدة العمرية أن الروم مستعمرون وعليهم الخروج من القدس مثلهم مثل اليهود اللصوص كما ورد فيها، وان أهل البلاد الفلسطينيين هم من تنصروا وحفظوا المسيحية حفظا هم أهد به لأن المسيح عليه السلام منهم وليس رومانيا.

مكانة فلسطين والقدس الإسلامية : تتمتع أرض فلسطين بمكانة خاصة في الإسلام، وهي المكانة التي جعلتها محط أنظار المسلمين ومهوى أفئدتهم، وسنشير هنا باختصار إلى أهمية النقاط التي جعلتها تحظى بهذه المكانة :

أولاً: في أرض فلسطين المسجد الأقصى، وهو أولى قبلة للمسلمين في صلاتهم، كما يعتبر ثالث المساجد مكانة ومنزلة في الإسلام بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي، ويسن شدّ الرحال إليه وزيارته، والصلاة فيه بخمس مائة صلاة عما سواه من المساجد فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ:

1- تاريخ الطبري 3 / 606 ؛ دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص22، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ص20.

2- القدس من الإسراء إلى وعد الآخرة، ص238.

((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد القصى))[1]، وقال ﷺ: ((الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة بمسجدي بألف صلاة والصلاة بالمسجد الأقصى بخمسمائة صلاة))[2]. وعن البراء بن عازب ﷺ أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على إخوانه من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس "[3].

وعن أم المؤمنين أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من أهلّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنب وما تأخر، أو وجبت له الجنة)) ثم قال: ((يرحم الله وكيعا أحرم من بيت المقدس)) يعني إلى مكة[4].

ثانيا: أرض فلسطين أرض مباركة بنص القرآن الكريم: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾.

قال ابن كثير: " بلاد الشام[5]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً ﴾، قال ابن عباس: " القرى الظاهرة التي باركنا فيها هي بيت المقدس[6]. والبركة هنا حسية ومعنوية بما فيها من ثمار وخيرات، ولما خصت به من مكانة، ولكونها مقر الأنبياء ومهبط الملائكة الأطهار.

1- رواه البخاري 2 / 58 ؛ صحيح مسلم / 975 – 976.

2- رواه الطبراني والبزار انظر حاشية ابن سورّة 1 / 318.

3- رواه الطبراني 1 / 317.

4- أبو داود 2 / 144.

5- تفسير ابن كثير 3 / 84.

6- ابن كثير 3 / 84.

ثالثا: فلسطين أرض مقدسة بنص القرآن الكريم قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: " يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم " قال الزجاج المقدسة الطاهرة، وقيل سماها المقدسة لأنها طهرت من الشرك وجعلت مسكنا للأنبياء والمؤمنين، قال الكلبي: الأرض المقدسة هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقال قتادة: هي الشام كلها"[1].

رابعاً: فلسطين أرض الأنبياء ومعيشتهم على الدوام فعلى أرضها عاش إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف ولوط وداود وسليمان وصالح وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ممن ورد ذكرهم في القرآن الكريم. كما زارها محمد ﷺ، كما عاش على أرضها الكثير من أنبياء بني إسرائيل، كلما هلك نبي جاءهم نبي، ممن ورد ذكرهم في الحديث الصحيح نبي الله يوشع عليه السلام ولذلك فإن المسلمين عندما يقرؤون القرآن الكريم يشعرون بارتباط عظيم بينهم وبين هذه الأرض لأن ميدان الصراع بين الحق والباطل تركز على هذه الأرض، ولأنهم يؤمنون بأنهم حاملو ميراث الأنبياء ورافعو رايتهم.

خامساً: وتكثر في أرض فلسطين أضرحة ومقامات ومزارات الأنبياء وهي تخليد ذكرى استقرارهم أو مرورهم الأماكن فأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام سميت باسمه إحدى أهم مدن فلسطين وهي مدينة الخليل.

سادساً: وفلسطين أرض الإسراء، فقد اختار الله المسجد الأقصى ليكون مسرى رسول الله ﷺ ومنه كان معراجه إلى السماء، فشرف الله بذلك هذا المسجد وأرض فلسطين تشريفاً عظيماً، وجعلت بيت المقدس بذلك بوابة الأرض إلى السماء، وهناك في المسجد الأقصى جمع الله الأنبياء والرسل

1- بلادنا فلسطين، 343، تفسير ابن كثير 3/ 533.

السابقين لمحمد ﷺ في تلك الليلة ومنهم أنبياء بني إسرائيل، فأمهم في الصلاة وصلوا هم خلفه مأمومين، وجمعهم هذا غيبي لا نعرف كيف جرى وهو غير خاضع للقوانين والأسباب المادية لأن الرسل غادروا هذه الحياة الدنيا والتحقوا في الرفيق الأعلى، فهم في حساب البشر أموات ولكنهم عند الله أحياء حياة خاصة غيبية كما أراد الله وفي هذا دلالة على استمرار رسالة التوحيد التي جاء بها الأنبياء وعلى انتقال الإمامة والريادة وأعباء الرسالة إلى الأمة الإسلامية.

سابعاً: وتبسط الملائكة أجنحتها على أرض فلسطين التي هي جزء من بلاد الشام ففي الحديث الصحيح عن زيد بن ثابت ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ: ((**يا طوبى للشام، يا طوبى للشام، قالوا يا رسول الله وبم ذلك ؟ قال: تلك ملائكة الله باسطة أجنحتها على الشام**))[1].

ثامناً: وهي أرض المحشر والمنشر، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ قالت: يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس، فقال: ((**أرض المحشر والمنشر**))[2].

تاسعاً: المقيم المحتسب فيها كالمجاهد والمرابط في سبيل الله، عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن أحتل مدينة من المدائن فهو في رباط ومن أحتل منها نفراً فهو في جهاد**))[3].

عاشراً: الطائفة المنصورة تكون ببيت المقدس عن أبي أمامة مرفوعا إلى رسول الله ﷺ قال: ((**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم**

1- فضائل الشام ودمشق، تخريج الألباني / 5.

2- أخرجه الحاكم وأبو نعيم، سبق تخريجه.

3- سبق تخريجه.

قاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قيل: يا رسول الله أين هم ؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بين المقدس))[1] [2].

الخاتمة: في ختام هذا البحث أود أن أشير إلى النتائج المستخلصة:

أولاً: أرض فلسطين أرض مقدسة مباركة سكنها أبناؤها الكنعانيون منذ نحو أربعة آلاف وخمسمائة عام ومن امتزج بهم بعد ذلك من الفلسطينيين والقبائل العربية وقد أسلم أبناؤها بعد الفتح الإسلامي لفلسطين 15هـ - 636م وتعربت لغتهم وظلوا تحت حكم الإسلام أطول فترة في تاريخ فلسطين.

ثانياً: إن بني إسرائيل حكموا أجزاء من فلسطين نحو أربعة قرون لكنهم عندما حرفوا دينهم وكفروا وقتلوا أنبياءهم سخط الله عليهم وخسروا شريعتهم في فلسطين وورثت الأمة الإسلامية السائدة على درب التوحيد والأنبياء هذا الحق.

ثالثاً: إن ارتباط المسلمين بالقدس وفلسطين هو ارتباط عقائدي ويجب أن تبقى قضية فلسطين قضية إسلامية لا أن تقصر على شعب أو طائفة من الناس.

رابعاً: لقد حرف اليهود تاريخ فلسطين والقدس وذلك أمر غير مستهجن منهم وقد فعلو أكبر من ذلك فحرفوا التوراة وتلاعبوا بنصوصها لتخدم مقاصدهم في التجني على غير اليهود وظلمهم وأكل حقوقهم.

خامساً: إن فلسطين أرض الحضارات والنبوات والرسالات ولها في الإسلام من المكانة ما يجعل كل مسلم حريصاً على أن يقدم ما أمكنه من

1- أخرجه الطبراني رقم 7643.

2- دراسات منهجية في القضية الفلسطينية 52 – 56، يوم القدس، أبحاث الندوة، ج3 / 70 – 71.

جهد لإنقاذها وتخليصها من اليهود المجرمين.

سادساً: إن ما يعرف بـ "الشرعية الدولية" سواء أكان عصبة الأمم أم الأمم المتحدة قد استخدمتها الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية كأدوات لتنفيذ خططها ومصالحها لإضفاء الشرعية على هيمنتها الدولية، من ذلك إقامة ما يسمى بالدولة الصهيونية في فلسطين وترسيخ وجودها وشرعيتها محلياً ودولياً.

سابعاً: إن خطر الكيان الصهيوني اليهودي يهدد العالم الإسلامي أجمع فمع نهاية القرن العشرين ترسخ هذا الكيان بوجود خمسة ملايين يهودي لديهم من القوة العسكرية ما يمكنهم من هزيمة الدول العربية وفق الحسابات المادية ولديه من القنابل النووية ما يمكنه من تدمير عواصم العالم الإسلامي ومدنه .

ثامناً: والقدس تبقى مركز الصراع الكوني القادم والصراع بين قوى الظلام والصهيونية وقوى الحق والنور وقوى الإسلام.